

دراسية بالعبرية ، ولكننا كنا ندرس التاريخ بالمحاضرات ، وكانوا يدرسوننا عن الانبياء اليهود . وكان احد معلمينا في الجمنازيوم رائعا ، ووسيعا جدا ، وقويا جدا ، وكان يشبه كثيرا الدكتور هرتسل وكانا صديقين وزميلين في الدراسة الجامعية . وكان هناك مدير الجمنازيوم الدكتور هاتمان ، واني اعجب من نفسي لانني ما زلت اذكر أسماءهم . كان هناك حوالي اثني عشر او اكثر من المدرسين الرائعين جدا . اما المدرس الوحيد الذي لم يكن ذا اهمية فكان عربيا لتدريس اللغة العربية بصورة شكلية لذر الرماد في العيون بأننا كنا ، كذلك ، ندرس العربية . وقد استغللت ، بدوري ، عدم اهميته ، ويؤسفني ان اقول بأنني لم ادرس اللغة العربية . ويرجع سبب ذلك الى انني لم أكن اعرف ما يكفي من اللغة الفرنسية ، بينما كان زملائي في الصف يعرفون منها أكثر مما أعرف ، فرغبت في الاستزادة من اللغة الفرنسية ، ولذلك افردت معظم اوقات فراغي لدراسة اللغة الفرنسية للاحق بمستوى زملائي وزميلاتي وما كانوا يتحدثون عنه من قراءاتهم الفرنسية ، واذكر انه كان هناك كتيب عنوانه « تريز » او ما الى ذلك . وكان كتيباً فظيماً يصيب النفس بالفثيان ، الا انه كان مدهشاً في الوقت ذاته ، وكان علي ان اقرأه باللغة الفرنسية ، ولم اعرف ما يكفي من اللغة الفرنسية يومئذ ، ولذلك انكبت على دراستها .

ان ما ادهشني خلال تلك الفترة هو ما كان يسرب الى اذهاننا من خلال التعليم ، اذ كان هناك بيت شعر معين يحشر مع الدروس ويلقن لنا بمناسبة وبدون مناسبة ، فسواء كنا ندرس عن الانبياء ، او الادب العبري ، او تاريخ الصهيونية ، او اوضاع اليهود في فلسطين كانوا يلقوننا « عمينو » اي « امتنا » ، ولكنهم كانوا يترجمونها بكلمة « شعبنا » . واني الاحظ انهم يفعلون ذلك في الصحف ، فحيثما ترد في الصف الكلمة العبرية « عمينو » يترجمونها « شعبنا » ليخربوا ما نضمرون ، وفي واقع الامر ، ليس عندنا في العبرية كلمة مطابقة لكلمة « شعبنا » ، ولكنهم هكذا يترجمونها حينما وردت ، مع انهم ينبغي ان يترجموها « امتنا » ، ثم هناك كلمة « ارتسينو » اي « أرضنا » وديارنا ، فكانوا يعلموننا « عمينو » ، ثم جاءت كلمة كانت في منتهى الغباء ، ولكننا اضطررنا الى بلعها ، وهي كلمة « مولادتينو »

وفاة ٤٠ الى ٥٠ شخصا ، ولم يسمح لي بالسفر الى القدس لانه كان هناك حجر صحي على الطريق ، ولذلك اكرهت على البقاء في يافا . ولكن ، من جهة اخرى ، كانت الفترة التي قضيتها من عمري في الجمنازيوم زاخرة بالسعادة ، حيث كنا فيها فتيانا وفتيات ، وكانت هناك المشاوير ودروس الغناء ، وكان صوتي جميلا ، وكان يسمح لي ، وبالاصح ، يطلب مني ان اغني في الجوقة هناك ، رغم انني لم اكن اعرف قراءة النوتة الموسيقية ، وحتى اليوم لا اعرف قراءة النوتة الموسيقية ، ولكنني اصبحت اعرف وافهم الموسيقى من مرافقة ابني في جولاته الحافلة بالموسيقى .

وقد التقيت في يافا برجل يدعى الدكتور شينكين الذي تربطني به ، بصورة او بأخرى ، علاقة عائلية ، وقد تودد لي واخذني في احد الايام الى الجمنازيوم ، وقد اكتشفت يومها ، لأول مرة في حياتي ، بأن الصبيان والبنات يتعلمون سويا في مدرسة واحدة . وبين الحصة والاخرى كانت هناك فترة استراحة يستغلها الصبيان والبنات في الركض والقفز والغناء ومغازلة بعضهم بعضا والاستمتاع بالحياة .

ومن جهة اخرى كان لهذا الرجل ، الدكتور شينكين — الذي سأحدثك المزيد عنه فيما بعد ، ولكن هناك أشياء اخرى كثيرة أهم لاتحدث عنها ، ولذلك لن أورد الا القليل عنه الان — كان له أكبر الفضل في تغيير مجرى حياتي ، اذ اقتنعت بالانقطاع عن مدرسة الديانة اليهودية التقليدية (الارثوذكسية) ، وقد اصبح بوسعي ان التحق بالجمنازيوم لان جدي كان قد توفي في هذه الاثناء . وقد قلت للدكتور شينكين ، انني اعرف القلمود ، واعرف العبرية والانبياء ، وكتب التوراة الخمسة ولكنني لا اعرف شيئا من الجغرافيا او اللغة الفرنسية ، كما لا اعرف الحساب وما الى ذلك . لم اعرف ما يؤهلني للالتحاق بالصف الاعلى في الجمنازيوم ، واظن انه كان الصف الرابع ، اذ في كل سنة كانوا يضيفون صفا جديدا الى الجمنازيوم . وقد اقتنعت بالالتحاق بصف اعدادي يؤهلني للالتحاق بالصف الاعلى في الجمنازيوم ، وهو الصف الرابع الذي التحقت به فيما بعد ، حيث درست في الصف الرابع فالخامس فالسادس فالسابع فالثامن ومن ثم تخرجت مع اول دفعة من المتخرجين من الجمنازيوم . هناك شيء واحد يلخص كل ما كنا نتعلمه في الجمنازيوم ، لقد كان هناك مدرسون جيدون ، ولم تكن هناك كتب